

بحوث قرآنية في التوحيد والشرك

(101) إنَّ التوسل بالأطفال الأبرياء في الاستسقاء أمر ندب إليه الشرع الشريف، فهذا هو الامام الشافعي يقول : أن يخرج الصبيان، ويتنظفوا للاستسقاء وكبار النساء ومن لا هيئة له منهن، ولا أحب خروج ذوات الهيئة ولا أمر بإخراج البهائم. (1) وما الهدف من إخراج الصبيان والنساء الطاعنات في السن، إلاَّ استنزال الرحمة بهم وبقداستهم وطهارتهم، وكلَّ ذلك يعرب عن أنَّ التوسل بالأبرياء والصلحاء والمعصومين مفتاح استنزال الرحمة وكأَنَّ التوسل بهم يقول: ربِّي و سيدي انَّ الصغير معصوم من الذنب، والكبير الطاعن في السن أسيرك في أرضك، وكلتا الطائفتين أحقَّ بالرحمة والمرحمة، فلاجلهم أنزل رحمتك إلينا، حتى تعمنا في ظلهم. فانَّ الساقى ربما يسقى مساحة كبيرة لاجل شجرة واحدة وفي ظلها تسقى الأعشاب غير المفيدة. وعلى ضوء هذا التحليل يفسر توسل الخليفة بعم الرسول: "العباس بن عبد المطلب" الذي سيمر عليك، وأنَّه كان توسلاً بشخصه وقداسته وصلته بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعلم بالتالي انَّ هذا العمل كان امتداداً للسيرة المستمرة، وانَّ هذا لا يمت إلى التوسل بدعاء العباس بصلة. _____ 1 - الأُمِّم: 1: 248، باب خروج النساء والصبيان في الاستسقاء.